تأملات أسبوعيّة في أناجيل زمن المجيء

أحد البيان ليوسف

في هذا الأحد المبارك، نتأمّل مع أمنا الكنيسة في حدث البيان ليوسف، كما رواه لنا الإنجيلي متى، الذي يحدّثنا عن الوحي الإلهي ليوسف "البار" وكيف برّر له حبل مريم وحدّد له مهامه كحارسٍ للعائلة المقدّسة وكربٍّ لها، ويظهر لنا أيضاً تبنّيه ليسوع كابنٍ له (من خلال الحقّ بتسميته) وتربيته له، والحفاظ على مريم "والدة الإله" الدائمة البتوليّة.

لم يتسرع يوسف بل أخذ وقته في التفكير لئلا يأتي قراره تعسفاً ومجحفاً ومتهوراً بحق مريم. لم يفقد يوسف رجاءه بل استسلم لأمر الله وكان بأمس الحاجة ليعرف إذا كان قراره هذا مرضياً لله، وهنا بلحظة التفكير بالموضوع يظهر له ملاك الرب حاملاً اليه بلاغاً روحياً حتى يُشرق على قراره بنورٍ آمن لا ضلالة فيه. فالملاك يُطَمئِن يوسف ويحثُّه على البقاء في الصلاح لكن بقرار معاكس أي في اتخاذ مريم إلى بيته وليس بتركها سراً. فالملاك زاد يوسف ثقة وشجاعة وإيمان، لأنه بفعلته هذه أصبح جزءاً من التدبير الإلهي. ويوسف بفعل إيمانه الكبير يقبل ويعمل بكلام الملاك وبهذا يختتم مسيرته الإيمانية ويحظى بإكليل الظفر ويستحق أن يكون إلى جانب مريم أم الله وأم المخلص.

هذا هو الدور الذي لعبه يوسف وكم تمنى الكثيرون أن يكونوا بموقعه ولم يستطيعوا، وحده يوسف الرجل الصالح والمطيع استطاع الحصول على هذا الدور وكان خير معيل لمريم ونِعمَ مربي ليسوع. والآن بعد أن تعرفنا على يوسف الصديق والبار والصالح يبقى علينا أن نتعلم منه الكثير:

أولاً لَمْ يُرِدْ يوسُفْ أنْ يُشَهِّرَ بِمَرْيَم: يَطْلُبُ ٱلرَّبُّ مِنْكَ ألاَّ تُشَهِّرَ بِكَنيسَتِكَ التي تَرمُزُ إلَيْها مَريَم. لا تُشَهِّرْ بِكَنيسَتِكَ، وَلا بِكَهَنَتِها أو ٱلمَسؤولينَ فيها، لا تُشَهِّر بامْرَأة ما، بِأصْحابِ عَمَلِكَ، بِأصْدِقائِكَ.... يُريدُ الرَّبُّ اليَوم، أنْ نَأخُذَ مَرْيَمَ (الكَنيسَة) إلى بَيْتِنا، وَأنْ نُحافِظَ عَلَيْها وَ نَعْمَلَ لِبُنْيانِها، وَ نُحِبُّها وَ نُعْطي حَياتَنا لَها، فالمَولودُ مِنْها هوَ مِنَ الرُّوحِ القُدُس. فالتَّشْهير بالكَنيسَة وَبِرُؤَسائِها هوَ تَشْهيرٌ بالضُّعْف الذي يَحْمِلونَهُ في قُلوبِهِمْ لأنَّهُمْ بَشَر. فَكَيْفَ نُشَهِّرُ بِضُعْفٍ نَحْمِلُهُ نحنُ أيْضاً، وَ لَرُبَّما نَكونُ أضْعَفَ وأقَلّ إيْماناً مِنَ الذينَ نُشَهِّرُ بِهِم ؟؟؟

ثانياً يوسف فَعَلَ كَما أمَرَهُ الرَّبّ«: بَيْنَ ما تَطْلُبهُ ٱلشَّريعَة (وَنحنُ نَعْلَم أنَّهُ في حالَة مَريَم، أي المَرأة المَخطوبَة الّتي تَحبَلُ مِنْ شَخْصٍ آخَر، يَجِبُ مُعاقَبَتها بالرَّجم، وَ هذا ما تَطْلُبهُ الشَّريعَة) وَ بَيْنَ ما يَطْلُبْهُ الله (»وَ لَمَّا قامَ يوسُفُ مِنَ النَّوْمِ، فَعَلَ كَما أمَرَهُ مَلاكُ ٱلرَّبّ وَأخَذَ ٱمْرَأتَهُ«) ٱخْتارَ يوسُفْ أنْ يَفْعَلَ ما يَأمُرُهُ بِهِ الرَّبُّ. كَم مِنَ المَرَّاتِ نَفْعَلُ ما يُمْليهِ عَلَيْنا مُجْتَمَعُنا؟ كَم نَخْتارُ ما يَراهُ ٱلنَّاسُ لَنا وَ لا نَخْتارُ ما نُريدُهُ نحن أو ما يَراهُ إيماننا المَسيحي؟ هَل لله مَكانٌ في حَياتي؟ هَل لَدَيَّ ٱلإسْتِعْداد لِتَغْيير مَشْروعي وَ قَرارِي وَ فِعْلِ ما يَطْلُبْهُ الرَّبُّ مِنّي؟ وَ كَيْفَ أعْرِفُ ما يَطْلُبْهُ مِنّي الرَّبُّ وَ ما يُريدُهُ لي. يبقى أن ننهي بأن يوسف كان رجل الصمت فقد خدم بصمت وعاش مع عائلة الناصرة بصمت دون أن يتباهى بأنَّه هو من يربي الملك المنتظر. وهنا نسأل: أين نحن من صمت يوسف العميق؟ أين نحن من ذواتنا المتعطّشة للإصغاء إلى صوت الله في أعماقنا؟

صلاة

يا ربّ، في أحد البيان ليوسف، نرفع إليك قلوبنا شاكرين إشراكك لنا في "السرّ الإلهي" الّذي تجلى تدريجياً في تاريخنا البشريّ حتى اكتمل ظهوره في شخص وحياة ربّنا وإلهنا وخلّصنا يسوع المسيح.

نسألك، في هذا الأحد، أن تمنحنا، بروحك القدّوس، "موهبة" الشجاعة فنتجاوب على الدوام مع إرادتك القدوسة، على مثال يوسف البار، ونعيش قيم المحبّة والطهارة والأمانة في عائلاتنا وبيوتنا، فيكبر ويقوى حضور يسوع فيها، وتتحوّل كلّ منها إلى "مغارة" عائليّة و"مهدٍ" للقداسة، ينبت فيها القدّيسون والقدّيسات، لك المجد والشكر إلى أبد الآبدين.